

قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ (في الإشارة إلى أنواع الشفاعة التي يعطاها نبينا محمد ﷺ) ؛ فأعلاها وأعظمها وأوسعها المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق كلهم فيه ليشفع لهم عند الله تبارك وتعالى ليأتي لفصل القضاء وإنقاذ المؤمنين من مقام المحشر يوم القيامة ويخلصهم من مجاورة الكفار في العرصات بعدما يُسأله آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فكل يقول لست بصاحب ذلك فيأتون إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه فيسألونه ذلك فيقول : أنا لها أنا لها ؛ فينطلق فيشفع عند الله في ذلك . وقد تقدّم بسط ذلك] .

هذا فصلٌ عظيمٌ ختم به الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى كتابه « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ، وختمه لهذا الكتاب بذكر أنواع شفاعات النبي عليه الصلاة والسلام مناسبتٌ في هذا الموضع غاية المناسبة ؛ لأنه بعد أن ذكر سيرته ﷺ العطرة وأخباره الكريمة وحياته العظيمة

المجيدة العامرة بالجد والجهاد والنصرة لدين الله تبارك وتعالى ، ثم ذكّره رحمه الله تعالى لخصائص المصطفى ﷺ ؛ كان من المناسب أن يذكر كرامة الله ﷻ لهذا النبي الكريم العظيمة ورفعته لمقامه في أرفع مقام وإعطاءه المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون تشريفاً لقدره وتعليةً لمكانته وبياناً لما تميز به عن العالمين صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله تعالى : ((فصلٌ في الإشارة إلى أنواع الشفاعة التي يعطاها نبينا محمد ﷺ)) ؛ والمصنف سبق أن ذكر فصلاً في الشفاعة عند كلامه على الخصائص - وعرفنا هناك أن الشفاعات يوم القيامة على نوعين :

- شفاعات مختصة بنبينا عليه الصلاة والسلام لا يشاركه فيها أحد ؛ ومن ذلك : الشفاعة العظمى ، وكذلك الشفاعة لأهل الجنة في دخول الجنة .
- وهناك شفاعات يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصالحين من عباد الله ؛ وهي الشفاعة لأهل الكبائر الذين استحقوا العذاب والعقوبة على اقترافهم لتلك الكبائر وفعّلهم لتلك الذنوب.

لكن نبينا عليه الصلاة والسلام تعليةً لمقامه من بين سائر العالمين من النبيين وغيرهم خُصّ عليه الصلاة والسلام بشفاعات لا يشاركه فيها أحد .

قال رحمه الله : ((فأعلاها وأعظمها وأوسعها المقام المحمود)) ؛ المقام المحمود : الذي ورد ذكره في قوله تبارك وتعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، وكما قال أئمة التفسير رحمهم الله تعالى "كل عسى في القرآن فهي واجبة " ، فقلوه ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ أي أن الله ﷻ يفعل ذلك ؛ يبعثه يوم القيامة المقام المحمود الذي يغبطه عليه النبيون ويغبطه عليه الأولون والآخرون .

قال ((المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق كلهم فيه ليشفع لهم عند الله تبارك وتعالى ليأتي لفصل القضاء وإنقاذ المؤمنين من مقام المحشر يوم القيامة ويخلصهم من مجاورة الكفار في العرصات)) ؛ فهذه الشفاعة العظمى والمقام المحمود لنبينا عليه الصلاة والسلام وهو من خصائصه دون سائر العالمين ، حيث يقف الناس في أرض المحشر يوم القيامة وقفةً طويلة وزمناً طويلاً وجاء في القرآن والسنة أن مقداره خمسين ألف سنة ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿[المعاج:٤]﴾ ، فيقفون ذلك اليوم الطويل المهيل العصيب ذي الأهوال والشدائد والكربات ، فيذهب الناس إلى الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا عند الله ﷻ في الفصل في القضاء ، فيبدعون بآدم عليه السلام مروراً بغيره من الأنبياء وكلهم يعتذرون ، ولهذا قال المصنف رحمه الله ((بعدها يسأله آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم)) وكلهم يعتذرون ((وكل يقول لست بصاحب ذلك)) إلى أن ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيعتذر ويقول لست بصاحب ذلك ويحيلهم إلى محمد ﷺ ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه ((أنا لها)) .

قال : ((فيأتون إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه فيسألونه ذلك فيقول أنا لها أنا لها فينطلق فيشفع عند الله في ذلك)) ؛ وقد جاء في الحديث أنه يخر ساجداً لله ﷻ تحت عرش الرحمن ويحمد الله ﷻ بمحمد ويثني عليه بحسن الثناء عليه مما يعلمه الله إياه في ذلك الوقت ، ثم يقول الله جل وعلا له : ((ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع)) .

قال ((وقد تقدم بسط ذلك)) ؛ والحديث في صحيح الإمام البخاري وغيره من حديث أنس ، وأيضاً جاء من حديث غيره من أصحاب النبي ﷺ . ونص حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((يُجْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنْكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِنَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ، قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ سَأَلَهُ رَبُّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ؛ قَتَلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا

شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ، فَيَقُولُ : ازْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلِّ تَعْطُ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْثِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٌ يُعْلَمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ: فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعَنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ازْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلِّ تَعْطُ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُنْثِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٌ يُعْلَمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ: فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعَنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يَقُولُ : ازْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلِّ تَعْطُ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْثِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٌ يُعْلَمُنِيهِ ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ " أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] قَالَ: «وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ((.

هذا الحديث وله في السنة نظائر من غير حديث أنس بن مالك في ذكر الشفاعة العظمى لبنينا عليه الصلاة والسلام وهي المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرين ، وهي شفاعته ﷺ للخلائق بأن يبدأ الله ﷻ بالحساب والفصل بين العباد ، وعلى إثر هذه الشفاعة والاستجابة من الله ﷻ لشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام يأتي الرب جل جلاله للفصل بين العباد وذلك قوله ﷻ في سورة الفجر : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) ﴿ فيجيء جل وعلا بنفسه مجيئاً يليق بجلاله وكماله وعظمته للفصل بين العباد ، وتُنصب الموازين وتُنشر الدواوين وأخذ كتابه باليمين وأخذ كتابه بالشمال من وراء الظهر .

قال رحمه الله تعالى :

[المقام الثاني من مقامات الشفاعة : شفاعته في أقوام من أمته قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها ، وذلك بين في الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه أهوال القيامة في فصل الشفاعة من آخره حيث قال : حدثنا سعيد بن محمد الجرمي : ثنا أبو عبيدة الحداد : حدثنا محمد بن ثابت البناني عن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي الله ﷻ منتصباً بأمتي مخافة أن يُبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي فأقول يا رب أمتي ، فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول يا رب عجل حسابهم ، فيُدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاً كبرجاً قد بُعث بهم إلى النار ، حتى إن مالكا خازن النار يقول : يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك لأمتك من نقمة " . وقال أيضاً : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن عمير بن أبي كريمة ، حدثني محمد بن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، حدثني زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : " يحشر الناس عراة ، فيجتمعون شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قياماً أربعين سنة ، فينزل الله تعالى من العرش إلى الكرسي فيكون أول من يُدعى إبراهيم الخليل ﷺ فيكسى قبطين من الجنة ثم يقول : ادعوا إلى النبي الأمي محمداً ﷺ ، قال : فأقوم فأكسى حلة من ثياب الجنة ، قال : ويفجر لي الحوض ، وعرضه كما بين أيلة إلى الكعبة . قال : فأشرب وأغتسل وقد تقطعت أعناق الخلائق من العطش ، ثم أقوم عن يمين الكرسي ، ليس أحد يومئذ قائماً ذلك المقام غيري ، ثم يقال : سل تعطه واشفع تشفع ، قال : فقال رجل : ترجو لوالديك شيئاً يا رسول الله ؟ قال : إني لشافعٌ لهما أعطيت أو مُنعت ، وما أرجو لهما شيئاً " ثم قال المنهال : حدثني عبد الله بن الحارث أيضاً أن نبي الله ﷺ قال : " أمرُ بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقولون يا محمد نشدك الشفاعة ، قال : فأمر الملائكة أن يقفوا بهم ، قال : فأنطلق فاستأذن على الرب ﷻ ، فيؤذن لي فأسجد وأقول : يا رب قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار ، قال : فيقول انطلق فأخرج منهم ، قال فأنطلق فأخرج

من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباكون : يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب ﷺ فأستأذن فيؤذن لي، فأسجد، فيقال لي : ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع. فأقول : قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال فيقول: انطلق فأخرج منهم ، قال فأنتقل فأخرج من شاء الله أن أخرج ، ثم ينادي الباكون : يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب ﷺ وأستأذن فيؤذن لي فأسجد، فيقول : ارفع رأسك، سل تعطه ، واشفع تشفع. فأقوم فأثني على الرب بثناء لم يثن عليه أحد ثم أقول : قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم ، قال فأقول رب أخرج منهم من قال لا إله إلا الله ومن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ؟ قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك ، تلك لي ، قال: فأنتقل فأخرج من شاء الله أن أخرج ، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم في النار !! قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ﷺ ملكاً بكفٍ من ماء فينضح بها في النار، فلا يبقى أحد من أهل لا إله إلا الله إلا وقعت في وجهه منها قطرة . قال: يُعرفون بها ويغبطهم أهل النار ثم يخرجون فيدخلون الجنة فيقال لهم: انطلقوا فتضيّقوا الناس، فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة، ويسمّون المحرّرين " . ففي هذا الحديث والذي قبله ما يدل على أنه ﷺ يشفع في قوم قد أمر بهم إلى النار لئلا يدخلوا إلى النار . وفي هذا الحديث الثاني أنه كرر فيهم الشفاعة فيشفع في طائفة منهم ثم في آخرين ثم في آخرين بعد آخرين كل هذا قبل دخولهم النار ، ولهذا قال في آخر الحديث " ويبقى قوم فيدخلون النار " وهذا الحديث مرسل] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى المقام الثاني من مقامات الشفاعة ((شفاعته في أقوام من أمته قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها)) ؛ فهذا نوع من أنواع الشفاعات ، والمصنف رحمه الله تعالى ذكر لهذا النوع من الشفاعة دليلين من السنة وكلاهما ضعيف لم يثبت ، وبعض جمل الحديث مثل كون إبراهيم الخليل أول من يكسى لها بعض الشواهد، لكن تخصيصاً ما استشهد المصنف رحمه الله بالحدثين لأجله -وهو الشفاعة لأقوام استحقوا دخول النار أن لا يدخلوها - فيه ضعف .

أما الحديث الأول حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فضعيف الإسناد ؛ فيه محمد بن ثابت البناني متفق على ضعفه ، والذهبي رحمه الله ذكر الحديث في سير أعلام النبلاء وقال "هذا حديث غريب منكر تفرد به محمد ابن ثابت أحد الضعفاء " ؛ فالحديث ليس بثابت .

وأما الحديث والثاني مرسل لأنه من رواية عبد الله بن الحارث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وعبد الله بن الحارث أحد التابعين ؛ موضع الشاهد منه فيما أرسله عبد الله بن الحارث قال : ((ثم قال المنهال : حدثني عبد الله بن الحارث أيضاً أن نبي الله)) ، ولهذا أعله ابن كثير رحمه الله تعالى في تمام ذكره بقوله ((وهذا الحديث مرسل)) .

ولكن يمكن أن يستدل أو يُحتج لهذا النوع من الشفاعة -وهو شفاعته ﷺ وكذلك شفاعة الأنبياء لأممهم فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها - بالحديث الثابت الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام : ((ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِنَاحِيَّتَيْهِ قَوْلُهُمُ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)) ؛ فالأنبياء على جنبي الصراط يقولون : "اللهم سلِّم سلِّم" أي : سلِّم ونجي من الدخول . وهو حديث صحيح ثابت .

قال رحمه الله :

[وقوله في الحديث الأول : " فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي " دليل على المقام الثالث وهو : الشفاعة لأقوامٍ تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يستحقوا دخول الجنة ولم يستوجبوا الدخول إلى النار فيشفع في أن يدخلوا الجنة]

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذا المقام الثالث من مقامات الشفاعة وهو الشفاعة لأهل الأعراف ، وأهل الأعراف : الذين تساوت حسناتهم فيُحبسون بين الجنة وبين النار إلى أن يُشفع لهم فيدخلون الجنة وينجيهم تبارك وتعالى من النار .

قال رحمه الله :

[وأما المقام الرابع من مقامات الشفاعة : فهو الشفاعة لأهل الكبائر الذين أدخلوا النار ليخرجوا من النار، وقد تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الصحاح

والمسانيد وغيرها من كتب الإسلام . وقد أجمع على قبولها أئمة الإسلام في قديم الدهر وحديثه ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج ومن تابعهم في بدعتهم من المعتزلة وغيرهم ، وهم محجوجون بالحديث المتواتر الذي يلتزمون القول به ولكن لم يحط علمهم بتواتره ، فقد كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فلا عذر لهم ، ولكن من كذب بكرامته لم ينلها . بلى والله ؛ له في ذلك المقام الأعظم ويشفع في خروج أصحاب الكبائر مرة بعد مرة حتى تبلغ أربع مرات كما جاء بذلك الأحاديث . ويشفع النبيون في أممهم ، والمؤمنون في أهاليهم وأصحابهم من العصاة ، ويشفع الملائكة أيضاً ، ثم بعد ذلك كله يُخرج الله من النار من لم يعمل خيراً قط وكان في قلبه من الإيمان ما يزن مثقال ذرة ، ومن قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله مخلصاً [.

ثم ذكر رحمه الله تعالى المقام الرابع من مقامات الشفاعة وهو الشفاعة لأهل الكبائر الذين أدخلوا النار فيُشفع لهم ليخرجوا منها ، وهذه الشفاعة ليست خاصة به عليه الصلاة والسلام لكن له منها أعظم مقام وأعظم قدر ؛ لأن جاهه ومكانته عند الله أعظم جاه وأعظم مكانة صلوات الله وسلامه عليه .

ويشاركه في هذه الشفاعة الأنبياء وكذلك الملائكة كما قال الله ﷻ : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] ، وكذلك الصالحون من عباد الله فإنهم يكونون شفعاء كما أنهم أيضاً يكونون شهداء يوم القيامة ، وقد صح في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((إن الطَّعَّانِينَ وَاللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) لأن الشهادة: الذكر بالخير ، والشفاعة : الدعاء بالخير ؛ والطَّعَّانُ اللَّعَّانُ الذي كان شُغله في الدنيا اللمز والهمز والوقية في الأعراض واللعن للناس والسب لهم فطعنه فيه عدم سلامة الناس منه من الذكر بالخير ، والأمر الثاني الشفاعة أيضاً ليس أهلاً لها لأنه كان لَعَّاناً لم يكن يدعو للناس بالخير والرحمة .

ولهذا ينبغي أن يُعلم أنَّ من كان همَّازاً لمَّازاً لَعَّاناً طَعَّاناً في الدنيا ما سلِمَ الناس من لسانه ولم يسلموا من أذاه ولا يدعو لهم بالرحمة ولا بالمغفرة ولا بالخير ليس أهلاً يوم القيامة أن يكون شهيداً أو شفيعاً لهم عند الله ، وإنما هذا يختص به من كان صالحاً من عباد الله مستقيماً على طاعة الله يرحم الناس ويعطف عليهم ويدعو لهم بالخير ويسأل الله ﷻ لهم بالخير ويريد نجاتهم ويريد صلاحهم ويريد فلاحهم ، فإذا كانت هذه حاله في الدنيا كان أهلاً يوم القيامة أن يشهد لهم بالخير عند الله وأن يشفع لهم أيضاً بالخير والنجاة من عذاب الله ﷻ .

الشاهد أن هذه الشفاعة تكون لنبينا وتكون كذلك للأنبياء وتكون كذلك للملائكة وللصالحين من عباد الله جل وعلا يشفعون لمن دخلوا النار ، والمراد بهؤلاء الذين دخلوا النار : أي دخلوها بذنوب دون الكفر بالله ﷻ ، لأن الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين ولو كان أقرب قريب ، وإن قدر أن شفع له لا تنفعه الشفاعة كما قال الله ﷻ : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ

الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] ، ولهذا جاء في صحيح البخاري ((يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ فِتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَغْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْرِبَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَحْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطَخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ)) .

فهذا شاهد من الشواهد والدلائل على أن الكافر لا تنفعه الشفاعة ، وإنما تكون الشفاعة نافعةً بأمرين :

■ الأمر الأول : إذن الله تبارك وتعالى للشافع ؛ فالشافع مهما علت مكانته وقدره وارتفعت

منزلته لا يشفع عند الله إلا إذا أذن الله له ، قال الله ﷻ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾

[سبا: ٢٣] ، وقال الله جل وعلا : ﴿ وَكَمْ مِنْ مُلْكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ

شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] . فلا يمكن

لأحد أن يشفع عند الله ابتداءً لأن الشفاعة ملك الله جل وعلا كما قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ

لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴿ [الزمر: ٤٤] واللام في ﴿ لِلَّهِ ﴾ للملك . وقد مر معنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام في المقام المحمود لا يشفع إلا بعد أن يؤذن له بالشفاعة ؛ يخر ساجد ويحمد الله ثم لا يشفع حتى يقول الله له "ارفع رأسك وسل تعطه" .

■ الشرط الثاني : أن يرضى ﷻ عن المشفوع له ؛ والله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧] أما الكفار لا يرضى الله عنهم ؛ من مات كافراً لا مطمع له إطلاقاً في مغفرة الله ولا رحمته ولا ثوابه ولا نجاته له من عقابه ﷻ ، بل ليس له إلا النار خالداً مخلداً فيها أبداً كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿ [فاطر: ٣٦-٣٧] الظالمين : أي الكافرين . فالكافر ليس له نصير وليس له حميم وليس له ولي ، ليس له إلا النار مخلداً فيها أبداً الآباد ؛ هذا شأن كل من مات على الكفر بالله ﷻ ، ولهذا قال الله جل وعلا : ﴿ إِنْ لِلَّهِ لَأَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] أي أن من مات مشركاً لا مطمع له إطلاقاً في مغفرة الله ﷻ ، وإن قَدِّرَ أنه شفع له شافع عند الله مهما علت مكانته ومنزلته لا تنفعه الشفاعة كما قال ربنا جل وعز : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ .

الخلاصة أن هؤلاء الذين ينالون هذه الشفاعة هم عصاة الموحدين أهل الكبائر والذنوب التي هي دون الكفر بالله ﷻ ؛ فهؤلاء دلت الدلائل الصحيحة وجاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ أنهم يشفع لهم الأنبياء وتشفع لهم الملائكة ويشفع لهم الصالحون من عباد الله فتنفعهم هذه الشفاعة ويخرجون من النار .

وقد جاء أيضاً في الصحيحين وغيرهما صفة خروج هؤلاء من النار وأن هؤلاء إذا أراد الله أن يخرجهم من النار بشفاعة الشافعين فإنه ﷻ يأذن الله للنار فتميتهم إماتة حتى يصبحون فحماً ثم يُخرجون من النار ضبائر ضبائر أي جماعات جماعات ويلقون في نهر الفردوس ، قال

عليه الصلاة والسلام ((فيحيون بمائه كما تنبت الحبة في حميل السيل)) إذا جاء السيل في الوادي يحمل البذور التي في الوادي ويلقيها على جنبتيه فتنبت ، تخرج صفراء ملتوية كما قال عليه الصلاة والسلام ، فهؤلاء ينبتون في نهر الفردوس ويحيون بمائه كما تنبت الحبة في حميل السيل، ويخرجون من النار دفعات دفعات لأنهم في الكبائر متفاوتون وليسو في الكبائر على درجة واحدة .

فيخرجون من النار دفعات دفعات بعد أن دخلوها دخول تطهير وتمحيص ، لأن دخول أهل الكبائر النار ليس دخول تخليد وتأبيد وإنما هو دخول تطهير وتمحيص ، أما الكافر المشرك فالنار لا تطهره ولا تنقيه ، ولهذا يدخلها دخول تخليد وتأبيد أبد الآباد ، أما عصاة الموحدين فإن دخولهم للتطهير ، لأن الجنة دار الطيب المحض كما قال ربنا ﷻ ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾ [الزمر:٧٣] فعطف الدخول بالفاء على ذكر الطيب الذي هو وصف لهم استحقوا به دخول الجنة ، أما إذا كان طيباً شاباً خبث فإن دخوله للجنة يكون بعد أن يطهر من هذا الخبث .

والمطهرات ومكفرات للذنوب كثيرة ؛ منها مطهرات في الدنيا مثل : المصائب المكفرة ، والحسنات الماحية ، والتوبة النصوح ، ومن لم يتطهر بهذه المطهرات في الدنيا ولقي الله ﷻ موحداً مخلصاً فإنه يطهر بنهر جهنم يوم القيامة أجارنا الله .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : في الدنيا ثلاثة أنهر من تطهر بها طهرته وهي الحسنات الماحية والمصائب المكفرة والتوبة النصوح ، ومن لم يتطهر بها طهره الله يوم القيامة بنهر جهنم . ، إذا كان هناك خبث لا بد أن يطهر منه حتى يكون مؤهلاً لدخول الجنة لأن الجنة دار الطيب المحض الخالص الطيب النقي .

والناس يوم القيامة على ثلاثة أقسام :

■ القسم الأول : أهل الطيب المحض ؛ وهؤلاء إلى الجنة بدون حساب ولا عذاب نسأل الله الكريم من فضله .

■ القسم الثاني : أهل الخبث الذي لا طيب فيه وهم الكفار ، لأن الكفر مبطّل للأعمال محبط لها برمتها ، فهؤلاء إلى النار مخلدين فيها أبد الآباد .

■ القسم الثالث : أهل طيب شابه خبث ؛ وهؤلاء هم الذين يتحدث عنهم المصنف رحمه الله تعالى بأنهم يدخلون النار ثم تشفع لهم الأنبياء وتشفع لهم الملائكة ويشفع لهم الصالحون ويخرجون من النار ضبائر ضبائر كما صحت بذلك الأحاديث المتواترة عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال المصنف رحمه الله : ((وقد تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الصحاح والمسانيد وغيرها من كتب الإسلام)) ؛ كحديث أنس رضي الله عنه الذي مر معنا قريباً ، وحديث أنس أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)) رواه الإمام أحمد ، وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين وفيه ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) .

قال : ((وقد أجمع على قبولها - أي هذه الأحاديث - أئمة الإسلام في قديم الدهر وحديثه ، ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج ومن تابعهم في بدعتهم من المعتزلة وغيرهم)) ؛ لأن الخوارج يكفرون بالكبيرة ويوجبون على صاحبها الخلود في النار ، فيقولون : مرتكب الكبيرة كافر ويقولون هو يوم القيامة مخلد في نار جهنم ، ولهذا بسبب فساد عقيدتهم وفساد نخلتهم كفروا خيار الصحابة بل كفروا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، النبي عليه الصلاة والسلام شهد له بالجنة وهم يكفرونه ويخرجونه من ملة الإسلام !! ألا ما أسخف عقولهم وأبعدها عن الحق والهدى والصواب .

والمعتزلة يوافقون هؤلاء في أن مرتكب الكبيرة خارج من الإيمان ويوافقونهم كذلك أنه مخلد يوم القيامة في النيران لكنهم يقولون : لا نقول كافر بل نقول في منزلة بين المنزلتين ؛ وهي بدعة أحدثها المعتزلة وهي ضلالة من جملة ضلالاتهم التي ابتعدوا بها عن الحق والصواب الذي دل عليه كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

قال : ((وهم محجوجون - يعني أهل البدع من الخوارج والمعتزلة - بالحديث المتواتر الذي يلتزمون القول به)) ؛ هم يزعمون أنهم يقبلون الحديث المتواتر ويحتجون به ، والمعتزلة تقول : الحديث المتواتر يُقبل في الاعتقاد ، لكن لا يقبلون أحاديث الآحاد ؛ وهذه بدعة هم اخترعوها لرد ما لا يوافق أهواءهم من الأحاديث ، ولهذا يردّ المعتزلة أحاديث متواترة زعماً منهم أنها أخبار آحاد وهم لا خبرة لهم بالصناعة الحديثية فلا يميزون بين متواتر ولا آحاد

لكنهم أنشئوا هذه المقالة لرد ما لا يوافق أهواءهم من أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((ولكن لم يُحِط علمهم بتواتره)) ؛ قد يكون بعض هؤلاء على علمٍ بتواتره لكنها تُكَاة يتكئون عليها لرد ما لا يوافق أهواءهم من أحاديث رسول الله ، ولهذا نرى في كثير من كتب هؤلاء يردُّون أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ زعماء منهم أنها آحاد .

قال : ((فقد كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فلا عذر لهم)) .

قال : ((ولكن من كَذَّب بكرامته لم ينلها)) ؛ هذه فائدة ثمينة ذكرها ابن كثير رحمه الله وهي مستنبطة من كلام السلف رحمهم الله في غير ما موضع ، فيقول "من كَذَّب بكرامته لم ينلها" ؛ فهنا يجتمع أمران : تكريمة الله ﷻ لهؤلاء العصاة أهل الكبائر بالخروج من النار ، وتشريف الله ﷻ للأنبياء والأولياء والصالحين من عباده بأن يكون خروج هؤلاء من النار بشفاعتهم ؛ فيظهر شرفهم ومكانتهم وتميزهم على الخلائق . فمن كَذَّب كرامة الله لم ينلها؛ وإن كان من أهل المعاصي لم يكن من أهل الشفاعة ولا يحظى بها لأنه مكذِّب بها وجاحد ، وإن كان ليس من أهل المعاصي ليس أهلاً أن يكون شافعاً يوم القيامة لأنه ينكر الشفاعة أصلاً .

فمن كذب بكرامة الله ﷻ لم ينلها وهذه قاعدة في الباب ويذكرها العلماء رحمهم الله من السلف في مقامات ، ومن ضمن المقامات التي يذكرها السلف رحمهم الله فيها : تكذيب أهل البدع من المعتزلة وغيرهم برؤية الله ﷻ يوم القيامة وجحودهم ذلك ، ولهذا قال الشافعي وغيره من السلف "من جحد رؤية الله ﷻ يوم القيامة فهو حقيقٌ أن لا ينالها" ؛ لأنه جاحدٌ لها ومكذِّب بها ومُنكِرٌ لها ، ولم يُثْم في قلبه يوم طمع ولا شوق أن يرى الله ﷻ لأنه ينكر رؤية الله ، بخلاف المؤمن الذي قام في قلبه طمعٌ عظيم وشوقٌ كبير للقاء الله والنظر إلى وجهه الكريم ﷻ ويقول في دعائه : " اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضلة " .

ولا يزال أهل البدع إلى زماننا هذا يكتبون الكتب ويؤلفون الرسائل في إنكار رؤية الله ﷻ يوم القيامة وفي الحكم على مرتكب الكبيرة بالنار ، وأحد رؤوس أهل البدع في زماننا يطلب

المباهلة على ذلك يقول أنا أباهل على هذه الأمور ، وهذا من شدة إغراقه في البدعة والضلالة وبعده عن كتاب الله ﷻ وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

فهذه الكلمة عظيمة من ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى قال : ((ولكن من كذب بكرامته لم ينلها)) .

ثم قال ((بلى والله ؛ له في ذلك المقام الأعظم)) ؛ أي الشفاعة لأهل الكبائر يشاركه فيها الأنبياء والملائكة والصالحون من عباد الله لكنه صلوات الله وسلامه عليه له فيها المقام الأعظم .

قال : ((ويشفع في خروج أصحاب الكبائر مرة بعد مرة حتى تبلغ أربع مرات كما جاء بذلك الأحاديث))

قال : ((ويشفع النبيون في أمهم ، والمؤمنون في أهاليهم وأصحابهم من العصاة ، ويشفع الملائكة أيضاً ، ثم بعد ذاك كله يُخرج الله من النار من لم يعمل خيراً قط وكان في قلبه من الإيمان ما يزن مثقال ذرة ، ومن قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله مخلصاً)) ؛ بشرط الإخلاص لله ﷻ كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة لما سأله « مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ » قَالَ : ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)) ، وأيضاً في الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام : ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)) ؛ لاحظ الشرطان اللذان لا تصح الشفاعة إلا بهما :

- ١ - إذن الله للشافع ؛ قال : ((فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)) .
- ٢ - ورضا الله عن المشفوع له ؛ قال ((لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)) . أما أهل الشرك فلا مطمع لهم في الشفاعة .

وهذا مقام عظيم في هذا الباب ينبغي التنبيه له ، وكما يعبر ابن القيم فصول ثلاثة عظيمة في هذا الباب ينبغي التنبيه لها :

- الفصل الأول : أنه لا شفاعة إلا بإذن الله .
- الفصل الثاني : لا شفاعة إلا لمن رضي الله قوله وعمله .

■ الفصل الثالث : أن الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد .

إذا فُهِمَت هذه الفصول الثلاثة حاز الإنسان وحصل بإذن الله تبارك وتعالى جماع الخير في هذا الباب العظيم باب الشفاعة .

قال رحمه الله :

[المقام الخامس : شفاعته للمؤمنين بعدما يجوزون الصراط في أن يؤذن لهم في دخول الجنة ، فذكر أنهم يأتون آدم ثم نوحاً وإبراهيم وموسى ثم عيسى ، ثم يأتون محمداً ﷺ فيشفع لهم فيشفع صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين . ويشهد له حديث أنس في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : ((أنا أول شفيع في الجنة))]

ثم ذكر رحمه الله تعالى المقام الخامس من مقامات الشفاعة وهي : ((شفاعته ﷺ للمؤمنين بعدما يجوزون الصراط)) ، والله ﷻ يقول : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فإذا جازوا الصراط وعبروه في ذلك المكان يشفع عليه الصلاة والسلام لأهل الجنة في دخول الجنة ، وهو أول من يستفتح باب الجنة وهو أول من يفتح له صلوات الله وسلامه عليه ، وهو أيضاً كما جاء في الحديث في صحيح مسلم قال ((أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ)) ، وأيضاً يدل لذلك حديث أنس المتقدم .

قال رحمه الله :

[المقام السادس من مقامات الشفاعة : شفاعته عليه الصلاة والسلام في رفع درجات بعض المؤمنين في الجنة ؛ وهذا مما وافق عليه المعتزلة وغيرهم ، ودليله حديث أم سلمة الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما مات أبو سلمة قال : ((اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافتح له في قبره ونور له فيه)) ، وهكذا الحديث الآخر عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بأن أبا عامر قُتل بأوطاس تَوْضُأ رسول الله ﷺ ثم رفع يديه وقال

: ((اللهم اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك)) رواه الشيخان في الصحيحين [.

ثم ذكر رحمه الله تعالى ((المقام السادس من مقامات الشفاعة : شفاعته عليه الصلاة والسلام في رفعة درجات بعض المؤمنين في الجنة)) .

قال : ((وهذا مما وافق عليه المعتزلة وغيرهم)) ؛ أي من أهل البدع . والإشارة هنا إلى موافقة هؤلاء ليس من باب أن هذه الموافقة تعطي قيمة ، وإنما لبيان أن القوم أهل أهواء فيوافقون ويقبلون من الأحاديث ما لا يخالف أهواءهم وإن كان آحاداً بل وإن كان ضعيفاً بل وإن كان موضوعاً ، وأما ما يخالف أهواءهم فإنهم يردونه ولو كان متواتراً ، وهذا يعلم بمطالعة كتب القوم ، فكم من الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ يحتجون بها لكونها توافق أهواءهم ، وهناك أحاديث كثيرة متواترة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لا يقبلونها لأنها لا توافق أهواءهم .

فهذا مقام من مقامات الشفاعة ؛ الشفاعة لبعض المؤمنين في الجنة في رفعة الدرجات . قال : ((ودليله حديث أم سلمة)) في دعائه عليه الصلاة والسلام لأبي سلمة والشاهد منه قوله ((وارفع درجته في المهديين)) ، وكذلك الحديث الذي بعده حديث أبي موسى في دعائه أبي عامر الأشعري رضي الله عنه وموضع الشاهد منه ((واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك)) ، والحديثان مرا معنا عند المصنف رحمه الله تعالى . وأيضاً هناك مقامان آخران في الشفاعة سابع وثامن :

■ السابع : شفاعته عليه الصلاة والسلام في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ويمكن أن يستشهد له بالحديث الذي فيه دعاء النبي عليه الصلاة والسلام لعكاشة بن محصن لما ذكر عليه الصلاة والسلام السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بدون حساب قال عكاشة رضي الله عنه " أدع الله أن يجعلني منهم " فقال ((اللهم اجعله منهم)) ، وفي رواية قال : ((أنت منهم)) فلما سأها رجل آخر قال : ((سبقك بها عكاشة)).

■ الثامن : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب خاصة أن يخفف الله ﷻ عنه من العذاب ، وهذا ثبت به الحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

وبهذا الحديث النافع المفيد عن الشفاعات ختم الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى آخر ما وُجد من السيرة النبوية «الفصول في سيرة الرسول ﷺ».

اللهم اغفر لابن كثير ولجميع علمائنا وارفع درجاتهم في المهديين واخلفهم في عقبهم في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين . اللهم افتح لهم في قبورهم ونور لهم فيها يا ذا الجلال والإكرام . اللهم وألحقنا جميعا بالصالحين من عبادك ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله إنك سميع قريب مجيب .

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

..*